-اسم القصة : مضيئة رغم الظلام

_نوع القصة : اجتماعي

_أماني حبلص كاتبه مصريه ولدت في مدينة دسوق التابعه لمحافظة كفرالشيخ

درست في بكالوريس التجاره جامعه الأزهر

_العمر : 23 سنه

_أعمالي السابقه : متاهه حب "قصه قصيره " وحصلت علي جائزة من الجامعة

_رواية المانتا (الجزء الأول) تم عرضها في معرض الكتاب الدولي 2019 ومعرض اسكندرية وبعض مكتبات مصر

_رواية نفس الشيطان تم عرضها في معرض الكتاب الدولي 2021

وبعض مكتبات مصر وتم عرضها علي المنصات الالكترونية

_قريبا سيتم عرض رواية المانتا (الجزء الثاني) قريبا...

اهداء هذا العمل الي امي الغالية

المهندس محمود حبلص ابي الغالي

الفصل الاول

***

كيف لا أفكر به
حاولت مريرا وتكريرا إلا افكر به...
عندما نتصادف أشعر بالتوتر بالإبتعاد بالهروب ، ولكن كيف ان أهرب بتفكيري بك، حاولت الهروب كثيرا والاندماج نحو القراة ومشاهدة الأفلام والانشغال في دوامة العمل المرهق والتحفيز نحو الامل والأيجابيات والمثاليات و..و..ولكن لا توجد فائدة تاثي هم يكون مؤقت فقط ثم أعود لنقطة الصفر من البداية بل وأصعب وكأني اعافر في الهواء ، وأحفر في الماء ، انعزلت عن الجميع حتي أحلامي واهدافي اصبحوا سراب كلما حاولت الاقتراب منهما اخطط وارسم وأفكر يحدث شئ ليبتعدوا ، كلما حاولت ان اتخطي ما انا عليه انتكس وأشعر بالضيق والنقمة ولا أستطيع التركيز منهك هلكان للغاية لا طاقه لدي لشرح المزيد عما يجيش داخل صدري لأحد لا أعلم ماذا افعل كل ما أشعر به هو ان اكون في مكان واسع لا يتواجد به أحد حتي لا استطيع التحرك من الإرهاق ، اصرخ اكسر كل ما يقع تحت يدي داخلي الف صوت أحدهم يصرخ صرخات استغاثة والآخر يبكييصارع ، بتعصب يعدو ينهار ، رغم الهدوء الخارجي وابتسامتي المعتادة المزيفة ثغري ظننت مع الوقت والسنين سيلتئم هذا الألم الذي يسكن داخلي كخنجر بارد في كل مره أوهم نفسي بأني على ما يرام وان سأتجاوز هذا الصراع الداخلي اتحول للأسوء وكأن كل الظروف تعاندني تقف ضدي ، لم امتلك الآن سوي الصبر والأمل وان الله يشعر بي يريد أن أصل بهذه الحالة الي شئ معين أن اتجاوز اصبر افهم أقدر ما هو لا أعلم ولكن يقيني في الله ان القادم اجمل رغم أني لا امتلك مؤشر لهذا
**

الأمر مقلق للغاية الحالة التي وصلت إليها ليست بهذه السهولة التي من الممكن أن تتجاوزها تستيقظ من النوم بعد عدد ليس بقليل من الساعات ، تجد نفسها في مكان غريب للغاية شقةخالية لا يتواجد بها أحد وضعت يدها علي رأسها صداع قاتل

ينهش رأسها بشدة ، دوار يرافقها بقوة تشعر أنها ستسقط في أي لحظةبالكاد تقف علي قدميها صمت تام مخيف للغاية

دام الأمر لدقائق معدودة ثم أستدرات خلفها بقوة ورعب عندما سمعت صوت مفتاح الشقة ليظهر من خلف الباب شابطويل القامه يحمل عدة حقائب اغلق الباب بهدوء ثم وضع الاغراض والحقائب علي الطاولة لتقع عيناه علي فتاة صغيرة القامة تضع يدها علي رأسها ويدها الاخري مستنده الي حائط جنبها ووجهها يتصبب عرق من الخوف والرعب المرتسم علي وجهها ذي الملامح البريئة الجذابة شعر بالصدمة رغما عنه والذي تحول الي ذهول مستنكر فقال بخفوت حاذر :

_ أنتِ مين ؟

همست دون وعي مأخوذة بعينيه التي تستجديه صارخه أرجوك لا تؤذني ولكن بدلا عن ذلك : أنا بسنت !

استيقظت من النوم صارخة لتجد نفسها تتوسط فراشها الصغير ، هل كان احلام يقظه من كثرة تفكيرها في أمر الزواج او ربما اصبحت مهوسة بوصف معين لفارس الأحلام الذي حتما سياخطفها علي جوادة الابيض

****

في أحد المنازل متوسطة المستوي المادي والأجتماعي يتواجد داخلة أسره مكونة من عدة أفراد وكانت سمر تقوم بالأعمال المنزلية داخل المطبخ ، سمعت صوت أم زوجها تناديها فتركت ما بيدها سرعيا ثم أتجة نحو الطابق السفلي قائلة :

_نعم يا عمتي !

كانت تقف امرأه في أواخر العقد السادس من عمرها تدعي "سنيه "وهي تضع يدها في جنبها واليد الأخري فوق قبضة الباب الحديدي المزخرف تنظر نحوه هاتفة بتبرم وتسلط :

_ أنا مش قعده بنادي عليكِ يا مقصوفة الرقبة !

هرولت سمر نحو سنيهبعجلة لتقول مبررة :

_كنت بغسل المواعين يا عمتي ويدوب علي ما سمعتك جيت علطول

مطت شفتيها بتقزز وعدم أقتناع ثم قالت بسخرية مقيتة :

_ طيب ياختي تعالي كلمي ضيوف

دخلت سمر غرفة الجلوس لتجد بنات عمها بسنت وحسناء شهقت بفرحة عارمة ثم اقتربت إليهما وأحتضنتهما بقوة وحرارة وحب فهي ليس لديها أشقاء ولا أحد يتحدثويتواصل معها سوي هاتان الفتاتان الجميلتان،فقالت سمر بمودة وشوق :

_فينكم يا بنات من زمان متقبلناش !

وضعت بسنت أمامها صندوق مغلف يحوي داخلة هدية ثمينة ثم هتفت بسنت بعذوبية :

_أنتِ عارفه ظروف الشغل والحياه بقا ، بس دي حاجة بسيطة بتمني تعجبك

وضعت سمر يدها فوق يد حسناء قائلةبسرور :

_ مكنش لية لازمة التعب دة ، انا فرحت أنكم نورتوني

ثم أردفت تخاطب حسناء قائلة بإستنكار مهتم :

_وانتِ عامله إيه يا حسناء ؟

أومات حسناء رأسها بهدوء ثم همست برضا:

_كويسة الحمدللة طول ما انتِ بخير

ظلوا يتحدثوا في أمور عدة وبعد وقت ليس بقليل قالت بسنت بفضول :

_مفيش حاجه في الطريق كده عايزين نفرح ؟!

تنهدت سمر بقلة حيلة ثم همست بخيبة أمل :

_ لسه والله يابنت عمي أدعيلي بالذرية الصالحة ،لان أهل البيت بيعايروني في الراحة والجاية عشان أتأخرت في الحمل

دهشت حسناء من كلام سمر فقالت بذهول غاضب :

_ أتأخرتي أيه يابنتي ،انتِ مكملتش سنه جواز ،ايه التخلف ده

جاء صوت غريب من الخارج قائلهبحدة :

_ تخلف إيه، مين اللي جو دول يا أمي

قالت سمر بأنزعاج قلق :

_ جات البومة أخت زوجي...!!

دخلت أمراه في أواخر العشرينات من عمرها تحمل فوق ذراعيها طفل رضيع ، تدعي ابتسامدلفت نحو غرفة الإستقبال بشكل عشوائي، بدون ألقاء التحيةعلي الموجودين عمدا قائلة بصلف آمر :

_ تعالي يا سمرخدي مني الولد اللي مغلبني ده !!

قامت سمر بأخذ الصغير من يدها تلاعبه بحب بينما جلست "ابتسام " واضعه يداها فوقبطنها المنتفخة قائلة بدلع ونعومة مثيرةللغاية :

_مش قادره خالص الحمل هيموتني مش بنام منه

هتفت سمر بلطف :

_ ربنا يقومك بالسلامة ،ويفرحك !

نظرت أبتسام إليها بتبرم ثم قالت بأستهزاء :

_الله يسلمك ياختي ،عقبالك ولو أن مش باين كدة ...!!
رفعت حسناء حاجبيها بدهشة لأختها فقالت بسنت بإستنكار :

_مش باين أزاي مش فاهمه ؟!

رمشت ابتسام عيناها بغرور ثم قالت بلهجة فاترة :

_ يعني أشك أنها ممكن تحمل وتولد زي كده ،أنا أتجوزت وخلفت بعد تسع شهور بالضبط ،لكن بنت عمك بقالها شهور ياحبة عيني

عم الصمت أرجاء المكان ، وشحب ملامح وجهه سمر فتابعت ابتسام مصححة ما تفوهت به قائلة بلؤم :

_أقصد يعني خدت وقت طويل اللي في سنها عندها عيل وأتنين

أخذت حسناء نفسا عميق ثم قالت بهدوء :

_ ده نصيب ، وأكيد ربنا هيرزقها لما يـأذن بكده !

أستندت أبتسام الي الإريكة بعجرفة أكثر ثم قالت :

_ واحنا لسه هنستنها لما النصيب يأذن...!

فاض الكيل با بسنت مما جعلها تهتف بنفاذ صبر :

_ أنت بتتكلمِ كده ليه؟؟ ،الغرور اللي أنتِ فيه ده علي أي أساسا؟

قالت أبتسام بفحيح افعي سامه وأسلوب غير متحضر ينم علي أمراه من العشوئيات :

_ علي أساس أن عملت اللي معرفتيش تعمليه ياحبيبتي ،دخلتِ علي الثلاثين ومحدش معبرك اللي زيك أنتِ كمان معاها عيل وأثنين ،يعني اللي زيك ميتكلمش خالص ...!

شعرت بسنت بأحدهم سكب علي رأسها كتل من الثلج،تبلدت ملامحها وشعرت بالعجز عن الرد فلو قام أحدهم بغرز خنجر في صدرها لكان أهون عليها مما تشعر به الان ، ران الصمت كل ذلك الحديث وهناك بركان مشتعل بقوة داخلها سينفجر بعد قليل ولكن هي تعلم جيدا ليس لديها حيله لتتحدث كل ما تفوهت بة سمر حينما أردفت قائلة بغضب :

_عيب كدة يا ابتسام !

صوبت ابتسام عيناها نحوها بنظره نارية تعلمها سمر جيدا فتنهدت بقيلة حيلة مما جعل الفتاتان تهمان بالرحيل معللين أن الوقت قد تأخر ، وسوف يلقتيان في وقت آخر

****

كنت فين يا هانم كل ده

كانت تصعد فوق الدرج المؤدي نحو الشقه فسمعت ندائها الأشبة بالأفعي والذي لا ينم علي الخير مطلقا إستدارت خلفها لتري جسدها مستند الي الجدار الذي بجانبها

فقالت سمر ببرود وجفاف :

_انا قايله لاخوكي إني هقضي اليوم ده مع اهلي

قالت ابتسام بصدمة ساخطة :

_بدون ما تستأذنيني ، تستأذني اهل البيت

قالت سمر بإستفهام محتقر:

_وانا اخد الأمر منك ليه

استدارت ابتسام للخلف نحو والدتها التي كانت تراقب المشهد من بداية قائلة بهلع وتأثير زائف ساخرا :

_الحقي يا أمي، بتقول تاخد الأذن ليه، وكمان مش عامله ليكِ احترام ، لما يجي حاتم ويشوف مراته اللي عايشه علي حل شعرها كده

ردت سمحيه بحسرة :

_ معلش يابنتي معرفناش نختار لبننا بنت حلال محترمه، ارتاحي انتِ عشان اللي في بطنك، ولما يجي اخوكي يشوفلنا حل في مقصوفة الرقبه دي

ثم نظرت اليها بحقد قائلة :

_مش كفايه انك ارض بور

شعرت سمر بطعنه حاده تخترق قلبها، يستنزف بغزاره ولكن رغما عنها مرت من امامهم بصمت

_____

في اليوم التالي

في شقة سمر

كانت سمر تقوم ببعض الأعمال المنزلية، تحدث زوجهاحاتم بصوت عنيف منذرللشر كملامح وجهة:

_كنتفين طول النهار ؟

نظرت سمر نحو حاتم المستند الي الحائط، فتابعت عملها قائلة بهدوء :

_ قولتلك قبل ما اخرج، اني هقعد عندي اهلي

هتف حاتم بتبرم قانط :

_ انا قولتك تقعدي ساعه وحدة، مش تقعدي اليوم كله ، وتسيبي امي و اختي المريضه، المفروض كنتِ عملتِ كل اللي يقولوا عليه وقضيتِ كل طلباتهم وبعد كده تشوفي أهلك

قالت سمر بصبر مسيطر علي ردود افعلها :

_انت عارف كويس ان طلباتهم مش بتخلص، ومع ذلك كنت محضره الأكل وعامله كل حاجه

قال حاتم بنبرة مستفزة :

_ ولو، متكررش تاني وتقعدي كل دة فاهمة ؟

ثم تركها ورحل دون كلمة ،جلست سمر الي أقرب مقعد ، تنهدت بقيلة حيلة لقد بدت تشعر بالأرهاق المفرط من كثرة الاعمال التي لا تتوقف ابدا لا تعلم ممن هي متزوجة بالضبط ، لكي يأمرها حاتم ذاك الرجل المتسلططوال الوقت بخدمة والدته وأخته.

****

في منتصف النهار

قامت سمر لتقدم بعض الحلويات التي صنعتها طوال اليوم في المطبخ...فقامت بتنظيم قطع الحلوي في إناء بشكل مرتب وأنيق، ووضعتها أمام حاتم زوجها ليتذوقه قائلة ببهجة :

_دوق بقا وقولي رأيك ؟

قالت ابتسامبأستفزاز مقيت وهي تمضغ العلكة بشكل مستفز كالعادة :

_هيكون طعمها ايه ما هو باين من شكلها

قالت سمر بنفور وقد فاض بها الكيل :

_ياريت تخليكِ في حالك وملكش فيه، محدش طلب رأيك.

شعرت ابتسام بالغيط فقالت بحزن زائف تتصنعه جيدا:

_عجبك كده ياخويا تكلمني بالطريقه ،واضح ان بقت تقيله في بيت أخويا

ثم أخذت تجهض في البكاء بمسكنةارتفعا حاجبي سمر بذهول وصدمة من افعال تلك المغويةِ الخبيثة، الغريب في الأمر أنها صدقتها ودخل عليها الأمر وكأنها تتكلم ببراءة حقيقيةافتعلتها جعل حاتم تغلي الدماء في عروقهفما كان منه إلا قام بدفع طبق الحلوي بقوة من يدي سمر لتتناثر فوق الأرض ، فرمقتهسمر بصدمة وحسرة وخيبة آمل كطفلة خذلتها أمها فإستدارت متسائلة لماذا، ولم تشعر بالصفعة التي تلقتها علي وجنتها كالمطرقة فقط شعرت بدلو من الثلج سقطا عليها في فصل الشتاء القارص، لتشعر بحرارة أحترقت وجنتها ، ثم صاح فيها بصوت جهوري غاضب مميت :

_ بعد كده لما تتكلم مع اختي تكلميها بإحترام وتلتزمي حدودك، انتِ ما حصلتيش ضفرها

ثم قام من أمامها بغضب وعنف ، فنظرت جانبها الي تلك الأفعي السامة لتراها تبتسم بشماته وسخريةٍ فردت داخلها، حسبي الله ونعم الوكيل ثم دلفت خلفه وانتظرت حتي يهدأ لتتحدث معترضه عما حدث ، وبعد ان هدأ الأثنان دلفت سنيه الي غرفتهما متقحمه المكان بأكلمة قائلة بصوت جهوري حارق :

_والله عال جه اليوم اللي اشوف بنتي بتتكرش من بيت ابوها

قال حاتم مهدئا سنيه :

_ خلاص يا أمي المشكله كانت قدامي والموضوع اتحل

قالت سنيه بحقد وهي ترمق سمر بنظرات نارية :

_مهو انت مشوفتش اللي حصل النهاردة

وبعد أن قصت الحدث عليه بطريقتها الخاصة فما كان من حاتم سوي الرد الفعل المتوقع منه كالعادة فقد ،جذبها من شعرها ثم قام بدفعها لتقع تحت قدم ابتسام التي كانت تقف خلف والدتها بعد ان حققت التي تريد التوصل إليه كانت تضع يديها حول وسطها كحيةٍ خبيثة تبث سمها في الهواء ليتسمم الجو اكثر

_اسمع يابت انتِ اللي امي واختي يقولو عليه يتسمع بدون نقاش

كانت هذه صرخة حاتم والذي يشعر بلذة خاص عندما تبتسم له سنية بابتسامة فخر

قامت سمر التي لم تؤخذ حركة خيانة وهي تشعر بالدم يسيل من جانب فمها، داخلها تشعر بالذل والإهانه التي تتعرض له ، فقالت بضعف مغلوب على أمره :

_المطلوب

قالت سنية بعجرفة:

_السلم مش عاجبني، عايزاكِ تغسليه درجة درجة يلا

ظلت سمر تقوم بتظيف السلم ومسحه رغم نظافته، وبعد اوشكت على الإنتهاء، قامت ابتسام بسكب دلو به ماء غير نظيف معكر باللون الغامق علي درجات السلم، وقالت بتسلط وشماتة:

_خلصي يا ارض بور، احسن بالله اخليه يتجوز عليكِ ويذلك بمرانة الجديدة

قالت سمر بنبرة غريبة :

_انتِ شايفه اللي بتعمليه ده حلال، ببقور على اي فرصه عشان تشبع رغبتك في انك تذلي الي قدامك، وكل شويه تعايرني عشان ربنا كرمك ، ضامنه ان حملك هيكمل للآخر ، ربنا هيحاسبك على كل اللي بتعمليه ده

بالرغم أن ابتسام كادت أن تتأثر بسبب صوت سمر المهزوز المرتعشمن كثرة البكاء ولكنها قالت بقسوة وسخرية مقيتة :

_ تصدقي كنت هتأثر بقولك ايه يابت انتي انا مبيدخلش عليا سهوكة الحريم دي، اشتغلي وانتِ ساكته

****

في شقة ابتسام

استيقظ ماجد من النوم ليجد ابتسام واقفه إمام المرآه تقوم بضبط حجابها استعداد للخروج فقال بصوت ناعس مستفهم :

_علي فين كده الصبح..!!؟

نظرت ابتسام نحو انعكاس المرآه لتجد زوجها استيقظ فقالت بفتور:

_رايحه لأمي .!

تأفف ماجد بضيق ثم قام من الفراش قائلا بملل غاضب :

_كل يوم ،كل يوم عند والدتك كده حتي يوم إجازتي ،مفيش يوم تقعديه معايه ،مره وحده من نفسي..!

قالت ابتسام بسخطقانط :

_ جر اي ايه يا راجل ما انتا عارف اني حامل وامي بتهتم بيا وبصحة اللي في بطني .!!

قال ماجد بصبر وهدوء مسيطر:

_ طب يا حبيبتي ماما قالتلك كذا مره تتزلي تقعدي معاها وهي هتساعدك وتهتم بيكِ وانت ما بتسمعيش الكلام .

قالت كاذبةبنبرة حانقة رغم نعومة صوتها :

_علي فكره بنزل اقعد معاها علطول ، بس انا لازم أكون جنب امي مينفعش أسيبها مع الحيه لوحدها اخاف عليها .!

قطب ماجد جبينه بتفكير ثم حك ذقنه سائلا بدهشة:

_ مين الحيه دي..!!؟

استدرات ابتسام هاتفه بعصبية:

_ركز يا ماجد سمرمراته أخويا.!؟

قال ماجد بعفويةوتلقائيهوهو يقترب نحوها :

_دي شكلها غلبانه جامد وطيبة

قامت ابتسام متخطياه بسرعه نحو الباب قائلة بأقتضاب لتنهي هذا الحديث الممل :

_والنبي انت الغلبان ياخويا عدينا كده انت مأخريني..!

ثم أسرعت نحو منزل والدتها في البنايةِ التي بجانبهم مباشرة

*****

في احدي الايام

كانت سنية تقوم بأنتقاء حبة الرز علي سطح منزلها . أرسلت نظرتها نحو ابنتها ابتسام التي كانت لا تبدو بخير وكأن هناك معضلة عويصة تحاول أن تجد لها حل قطعت سنية تفكيرها الغامض حينهتفت بشك :

_مالك يابت مش علي بعضك ليه!!؟

_مش عارفه يا أمه أقولك ايه؟

همست ابتسامبتأثر زائف :

قالت سنية بحيرة :

_قولي يابت قلقتني .!

قالت ابتسام بصوت حزين مبهم:

_ بصراحه انا زعلانه علي اخويا الغلبان ده يعيش في الدنيا وحيد بدون ما يشوف فرحة

قالت سنية بحزن حقيقي ورجاء:

_عندك حق يابنتي ادعلهم ربنا يرزقهم

قالت ابتسام بسخط وعدم رضي :

_وإحنا لسه هنستنا لما ندعي .!

قالت سنية بإستنكار مندهش :

_ تقصدي إيه يابت

اقترب ابتسام لتجلس بجانب سنية وهي تهمس بنبرة جدية ولؤم وكأنها سوف تخبرها عن سر في غاية الأهمية:

_اقصد يامه ان الأطفال رزق من عند ربنا ومن حق أي واحد يكون عنده عيل واتنين واحنا علينا ناخد بالأسباب

حكت سنية رأسها بشك وتعجب ثم أردفت قائلة بإستنكار :

_مش فاهمه يابت وضحي اكتر تقصدي إيه ..!؟

قالت ابتسام بنبرة متسلطة تحمل في طياتها الحقد :

_اقصد اننا نجوز اخويا حاتم عشان يخلف والبنات علي قفا من يشيل البت اللي اسمها سمر دي ارض بور هضيع من عمر اخويا سنين من غير خلفه..!

ابتسمت سنية بأنتصار وكأنها كانت تنتظر حل كهذا ثم قالت بحماس :

_تصدقي عندك حق يابنتيهتكلم معاها في الموضوع ده !؟

قالت ابتسام ضاحكه هامسة بنبرة خبيثة :

_ماشي ومن ناحيتي انا عندي العروسه

هتفت سنية بفضول :

_مين يابت .!؟

قالت ابتسام بحماس :

_نسرين صحبتي، بت زي العسل

هتفت سنيه بإستنكار :

_كانت فين دي يابت

ردت ابتسام بسرور لموافقة امها :

_موجوده يامه بت زي العسل وحسيت انها معجبه باخويا ، بس اعمل ايه بقا وقتها محدش سمعلي

ردت سنيه بجدية هامسة :

_ما خلاص يابت احنا لسه فيها كلميها

قالت ابتسام بإستنكار وحيرة :

_من غير ما اخويا يعرف

ردت سنيه بأقتضاب :

_ما قولتلك سيبي الموضوع ده عليا

_عنيا يامه .

كانت هذه كلمات أبتسام وهي تستعد للأنصراف حتي تكمل مخططاتها

****

دلفت سنيه نحو غرفة ابنها لتجدة يقوم بأعداد بعض الورق الخاص بالعمل اقتربت سينة نحوه بهدوء حذر وهي تلتف نحوها حتي لا تسمعها زوجة ابنها فهمست قائلة ببطئ خافت وعيناة تحوي الكثير

شوف بقا يا حاتم انا عايزه اتكلم معاك في موضوع مهم_

قال حاتم بإستنكار:

_خير يا امي؟

ردت سنيه بصوت حاني متعاطف :

_انت بقالك سنه متجوز واحنا نفسنا نفرح بأطفالك

قال حاتم بانتباه وكأنة اول مرد يدرك امر كهذا :

_صحيح يا امي بس احنا في ايدينا ايه نعمله؟؟

همست سنية بحماس :

_لا احنا في ايدينا نعمل كتير ، شاور انت بس

قال حاتم بأستنكار :

_مش فاهم

قال سنيه موضحة :

_ شاور علي اي بنت اجوزهالك وتجبلنا حته عيل اشوفه سندك قبل ما يحصلي حاجه ...!؟

قال حاتم بدهشة:

_عروسه

ايوة عروسه هسيبك تفكر وهرجعلك تاني

تركت حاتم يتخبط في افكاره حائرا

***

في إحد الايام في الطابق الأعلي في الشقة كانت تجلس سمر علي الإريكة تبكي بحرقة تشعر انها علي حافة الإنهيارعما تعانيه، في هذه الأثناءكان حاتم يغسل وجهه

وعندما وجد صوت انين التفت خلفه ليجد سمر تجلس فوق الأريكة وهي تبكي بصوت منخفض فقال حاتم بقلق :

_فيك حاجه ياسمر

مفيش حاجهقالت سمر دون ان ترفع راسها :

فقال حاتم باستفهام: بتعيطي ليه ؟

ثم تابع بنفاذ صبر دون تعاطف أو شفقة

لا بقولك ايه انا مفيش طاقه لشغل الحريم ده خشي في الموضوع علطول

رفعت سمر رأسها ليجد وجهها احمر وعيناه منتفخة من كثرة البكاء ثم انفجرت قائلة ببكاء وحرقةكالأطفال :

_ طنط سنيه وابتسام في الرايحه والجايه بيعايروني ويذلوني عشان ابتسام حامل وانا لا!!!

تراجع حاتم وهو يتنهد بأرتياح ثم هتف بتسلط :

_عندهم حق هما عشان بيقولوا الحقيقة تزعلي

رددت سمر بصدمة:

_الحقيقة ، بقولك بيعايروني وشغاله عندهم ليل ونهار زي الخدامه وذلني ، وانت بتقول ايه

قال حاتم ببطء حتي تستعيب الأمر :

_هما بيقولوا كده من واقع انهم خايفين عليا عشان معنديش عيل وده حقهم ايه اللي مزعلك في كده

ابتلعت سمر غصه في حلقها من كلماته الفظه قائلة بأمل :

_انت عارف ان ده رزق من عند ربنا واحنا ملناش ندخل فيه

قال حاتم بتهديد خفي :

_طالما كده تعيشي بقا وانت ساكته، ومسمعش صوتك خالص..!!

صرخت سمر بقهره قائلة : ليه بقا..!

قال حاتم بتبرم وعنجهيه :

_ليه؟ ؟؟ عشان اختي اللي اصغر منك ومتجوزه بعدك وحملت علطول، لا قالت دكتور ولا الكلام الفاضي بتاعك ده.

رد بإندفاع متهور وداخلها تستشعر الظلم المحيط به :

لو انت مستعجل علي الخلفه كده نروح للدكتور_

قال حاتم بخشونة مستعد للخروج :

_معنديش حريم بتروح لدكاترة بلاش شغل الدلع الليملوش لازمة ده

****

بعد هذا الحوار الذي يدور في ذهن حاتم منذ قليل فكر كثير في اقتراح اخته ابتسام ثم اخذ القراربهذه الفكرة قام بالإتفاق مع اهل الفتاة نسرين الذي سيقوم بخطبتهاوجاء اليوم المتفق عليه لإعلان الخطبة وقد تعمدت ابتسام ان يقام ذاك الحفل في المنزل تحديدا في شقة سمر بالرغم ان هذا مخالف لعادتهم وتقاليدهمولكن لابد أن تقوم بإعلان الحرب عليها لتدوس على الجرح فهي تتعمد إذلال وكأنها أصبحت أداة استمتاع تتلذذ بها ، عندما علمت سمر ظلت تبكي بقوة وحرقة وهي تري ،الزيرة معلقة في أنحاء الشقة، الأمرلا يحتمل علي الإطلاق ، صعب للغاية لا تستطيع التحمل ستنهار حتما مما يحدث كانت تود الهروب من هذا المنزل المشين الذي أصبح في غاية الإشمئزاز ولكن حكمت عليها هذة المسكينه ان تظل لكي تقوم بأعداد التجهزات اللازمة لحفل الخطبهبالرغم الجهد الشاق الذي بذلتكالعادة، الا ان هناك آلما ينزف من القلب بغزارة تشعر بأن أحدهم قام بطعنها بخنجر مسموم بارد.

.....

وعند بداية مراسم الحفل شعرت بالدوران قليلا نتيجة الإرهاق البدني والجسدي التي تعرضت لهطوال اليوم، ارتمت فوق الفراش بأرهاق ، ثم حكت جبينها من اثر الصداع الذي يكاد يهشم رأسها من شدة ما تشعر به

تابعتها ابتسامبعينيها المنذرتين بالشرنحو الغرفق

ثم فتحت الباب بقوة كالذي يقتحم مكان ليقبض على لص هارب، فنتفضت سمر فوق الفراش فقالت بهلع ووهن : فيه إيه ؟

قالت ابتسام بصوت مزدرء :

_بتعملِ ايه هنا وسيبانه كده

قالت بصوت كئيب حزين ومنفعل بعض الشئ :

_برتاح شويه من تعب طول النهار ولا ده حرام عليه كمان

قال ابتسام بحقد دفين :

_حرمت عليكِ عشتك يا عقربه انتِ، اتكلمي عدل يابت وطول ما إحنا مقولناش تمشي، يبقي تكوني جنبنا يلا قومي شوفي الناس معايه

صرخت سمر بشر وحقد وقد طفح الكيل:

_ابعدي كده مش متحركه في مكان، عندك البنات كتير يعملو اللي عايزاه

اقتربت منها لتمسكها من ذراعيها قائلة بلهجة وقحة:

_ لا هتقومي باروح امك، احسن والله اخليه يطلقك ويفضحك، وتبقي زي البيت الواقف لا طايله سماء ولا أرض

حاولت نزع يديها من ذرعها وهي تشعر انه سينتزع من موضعه قائلة سمر :

_لو ده تهديد، انا مبتهددش انا مش هخسر قد اللي خسرته

رمقت ابتسامبنظرة عنيفه منذرة بالشر ثم همست بصوت مؤذي بدرجة عنيفة:

_القطه كبرت وبقا ليه صوت وبتخربش كمان ،لا ده انا هشوف حاتم يتصرف معاكِ طالما محدش عارف يلمك كده

ثم قامت أبتسام بالنداء علي شقيقها بصوت غاضب حانق

كان حاتم يتحدث مع نسرين بحميمة وحب وكأنها اول فرحه له وحين سمع صوت عالي يأتي من الداخل، قال بصوت ناعم هادئ يشوبه الحنان:

_ ثواني يا حبيبتي اشوف اختي عايزه ايه وأرجعلك

ثم انصرف نحو غرفة سمر ليجد ابتسام تقف أمام سمر وهي جالسة علي الفراش وملابسها مهترئ بعض الشئ ووضعهم ينم على شجار عنيف فقال بإرتياب عجيب:

_ فيه إيه يا ابتسام صوتك عالي كده ليه؟

كانت ابتسام تقف واضعه يديها في خصرها تهز جسدها بحركة متعصبة تتحدث بتسلط وغرور وكأنها امتلكت العالم وما فيه، أشارت بإصبعها نحو سمر بإحتقار و عنجهية وكأنه شئ موبئ أمامها قائلة :

_ الهانم مراتك صوتها عالي عماله تقول انا مش بتهدد ولا ه اممني حد، وبقولها هقول لجوزك، تقولي انا مش بتهدد ولا عملالك اي احترام ولا هممها منك

رمقها حاتم بنظرة عنيفه منذره لا تنم علي الخير ابدا ثم فال بلهجة فاترة ساخطا:

_ انا كنت عارف انك مش هتعدي اليوم ده علي خير

قالت سمر بسرعهمدافعه بيأس:

_كلامها مش كله حقيقي صدقني

التفت ابتسام نحوها بصدمة ثم قالت بعاطفة متشنجة :

_وكمان بتكدبني شوفي ياخويا ،لا بقولك ايه يا حاتم البنت دي عدت حدودها معايه بما فيه الكفاية وانا كنت بستحملها عشانك لكن خلاص مبقتش قادره، شوفلك حل معاها بقا عشان انا تعبت

لم يستطيع حاتم التحمل فنقض علي سمر كمن يقتنص فريسة ليجذبها من شعرها بقوة صافعها عدة صفعات متتاليه وهو يقول بصوت مقيت مشحون بالغضب :

_ مش كفايه أنك أرض بور وانا نفسي يبقي ليا عيل لا وكمان وقحه وبتبجحي مع اختي

ولم تكن هنا أعين ابتسام الشامته فقط هي التي تشاهد، بل العروس وبعض من أقاربها المتواجدين معاها وبالطبع سنية والدته فقد اتوا جميعا عندما سمعوا صوت صراخا عالي في الداخل، وضعت سنيهيديها في ذراع العروس الجديدة ثم قالت بحدة وتبرم :

_اسمع يابني ارمي عليها اليمين واهي طلقه لو اتربت ردها متربتش يبقي تفضل عند امها ، لحد ما تعرف مقامها وتتعامل مع مين

قال حاتم بدون لحظة تردد او تفكير:

_انتِ طالق ، ودلوقت تلم هدومك ومشوفش وشك، يلا بره من هنا

كانت كلمته الأخيرة كانت بصوت جهوري قاصف

لم تشعر سمر بشئ، فقط سوي ذاك الألم الذي يعصف ببهنها ولا شعرها المشعث بفضل ذاك البيغض الذي انتهك كرامتها وأهانها امام الجميع بهذا الشكل وكأنها لم تكن زوجته يوما مابل الجرح الغائر الذي أستنزف طاقتها بالكامل ولم تستطع حتي التفكير في نفسها بعدما حدث كل ما تريده الاختباء بعيدا عن هذا العالم الملئ بالقيح والصدأ تختبئ في غرفتها المظلمة الصغيرة وتبكي من هذا الإذي والإنتهاك الصريح التي تتعرض لها علة تهدأ قليلا فهي لم تعد تستطيع مواجهة هذا العالم القاسي المظلم الموحش ، لملمت اشيائها البسيطة ثم ذهبت نحو الملجاء الوحيد لديها

أهلها ذهبت منكسرة ضعيفةتائة حزينة تشعر بالضياع تماما وكأنه سقطت في بئر سحيق مظلم لا قرار له

اثناء خروجها من المنزل وجدت ماجد أمامها، نظرت الي الأرض بأنكسار فوجهها مشوه للغاية كادت أن تتخطاه ولكنها اوقفها قائلا بأشفاق واسف:

_ انا حاسس بيكي ، انتِ بتعاني وحاسه بأيه دلوقت وزعلان عليكِ جدا، ربنا يكون في عونك

قالت سمر بصعوبة وتشنج :

_ يعني هو كله بسبب مين، حسبي الله ونعم الوكيل

مد ماجد نحو كتفيها موسيا اياه قائلا بإشفاق:

معلش احتسبي عند ربنا_

توقف تفكيرها للحظة خاطفة، ثم لمعت عيناه ببريق خاطف ماكر وقد خطر علي بالها فكرة في منتهي الشر ، فقالت بصوت حزين مسكين مصطنع:

_ ممكن اخد رقم الواتس عشان لو طلبت حاجه اكلمك، انت عارف بقا اني مليش حد دلوقت الجأ إليه

قال ماجد بسرعة دون تردد:

_طبعا ،كلمني في اي وقت

أهدته احد ابتسامتها ساحرةللغايةثم رحلت وهي تبتسم بشيطانية وحقد وداخلها تتوعد ان تنتقم من ابتسام مثلما فعلت بها فهي السبب الرئيسي في كل ما يحدث منذ أول زواجها التعيس حتي خطبته اليوم من امرآه غيرها وهي لا تستطيع التفوهه بثمة كلمة ، لان هذا حكم عليها انه ، أرض بور، دون التأكد او حتي اجراء الفحص الطبي اللازم

وعندما قصت الأمر علي أهلها، امروها بالمكوث هنا في بيت أهلها، حتي يأتي زوجها، ومر شهر واثنان وثلاثه ولم يأتي بعد، وقد كانت سمر علي تواصل بماجد زوج اخت زوجها ، " إبتسام " يتحدثون بشكل يومي وتوطئت العلاقة بينهما بشكل سريع حتي اصبح ماجد ينفذ جميع ما تتطلبه دون تردد بحب، وفي يوما ما، واثناء تحدثهم في الهاتف المحمول قالت بصوت بإغواء وانثوي غاية النعومة :

_ انا كنت عايزه اروح شقتي، عشان اخد دهبي وحاجتي المهمه

رد عليها بصوت الاجش الهادئ:

_ تعالي في الوقت اللي انتِ عايزاه

ردت سمربخفوت وتوتر قلق حزين :

_بس انت عارف لو مراتك وامها شوفني ممكن يأذوني

فقال ماجد بحرارة وعزم كالصخر:

_ انتِ عارفه محدش يقدر يقرب منك طول ما أنا علي وش الدنيا..حددي يوم اخد أجازه فيه من الشغل، وهستناكي هناك عشان لو حد حاول يكلمك ،ه قف جنبك ، متخفيش طول ما أنتِ معايا

فقالت بصوت ناعم حاني :

_ ربنا يخليك ليا

****

عندما علمت سمر بأمر تحديد مراسم الزواج الخاص بطليقها ، اتفقا علي هذا اليوم التي تاخذ فيه اشيائها الثمينةفرحب ماجد بهذا الأمر مظئمناً إياه ،

وفي الظهيره تقدمت نحو المنزل وهي ترتعب وتقدم قدم وتاخر الآخري خوفا وهلعا من ان يراها أحد اغلقت الباب بهدوء وبطء للغايةِ وكادت لتستدير ولكنها اصدمت بصدر قوي كالجدار الصلبفرفعت رأسها بتوتر لتجدة ماجد يبتسم لها ويهدئها قائلا بلطافةومودة:

_اهدي متخفيش محدش هنا ، في البيت انا أمنت الدنيا

اخذت سمر نفس عميق محاولة تنظيم إنفسها المضطربة ثم قالت بتوتر:

_ كويسهطلع انا بقا

قال ماجد بصوت واثق :

_وانا جاي معاكِ

قامت سمر بأخذ اشيائها وكادت تخرج ولكنها شعرت بمشاعر حميمة غير مستحبة علي الإطلاق بينهما عندما أقترب منها ماجدفلم تستطيع التحكم من منع نفسها علي أمر كهذا، بل كانت مرحب ومستعده ، وبعد مرور وقت ليس بقصير إستطاعا جمع شتات أنفسهما وانطلقا نحو الخارج دون أن يراهم احد ظلت طوال الطريق تفكر أن كانت ما حدث منذ قليل صحيح ام لا... ظلت الأفكار تتقافز وتتزاحم داخل رأسها تأففت بضيق حتي تنهي هذا الصراع المرهق بأن صور لها شيطانها، انها انتصرت علي اخت زوجها والتي كانت السب في كل حدث لها وقامت بطردهاواستطاعت التغلب عليه وعلي والدته سنيه، نفضت رأسها ثم هيئت نفسها لهذا الشعور الخاص الذي يتغلب عليها ويغمر كيانها ، لذة الإنتصارنشوة لم تستشعرها من قبل إبتسامة وليدة تزين ثغرها بعفوية لينتهي هذا الصراع بصوت داخلها لم تفعل سوي الصواب

بعد إنتهاء فترة العدة وتم الطلاق رسمي وعلمت سمر أنه قد تزوج، كانت دائما تشعر بالإرهاق الدائم، والاغماء المستمر ، حتي ظنت ان ما يحدث نتجية الظلم الذي لحق بها وعندما قررت الذهاب للمشفي ابلغتها الطبيبة بالخبر التي لم تتخيل يوما ان تسمعه بإذنيها بعد أن اقتنعت إنها أرض بور كما كان يطلقوا عليها هذا

اللقب اهل زوجها بعد أن أستوعبت هذه المفأجاة التي كانت شبه مستحيلة قررت الاتصال علي ماجد ليقابلها في المكان الذي يلتقون به في كل مرة وعندما تقابلا كان ماجد في عجلة من امره فقال بقلق وهو يتنفس بسرعة :

_ فيه ايه يا سمرقلقتني!!؟

فقالبتهدوء مسيطر :

_انا عندي ليك خبر مش عارفه انت هتتقبله ازاي

ضيق ماجد عيناه بإستنكار ثم همس بتوجس وأرتياب :

_خير ؟!

رمقته سمر بنظرة تشبه الصقر حتي تتفحص تعابير وجهه فهمست برزانة وثوقة :

_ انا حامل

دقيقة.. إثنان .. يحاول استيعاب الخبر ثم قال بسرور عارم وفرحة حقيقية:

_ بتتكلمي بجد

شعرت سمربالسرور الممزوجة ببعض الذهول عندما رأت تعابير وجهه المبهجة

فقالت بهدوء مرتاح :

_ هنعمل إيه دلوقت

قال بجدية ونبرة حاسمة:

_هنتجوز طبعا عشان ابننا يتولد في النور

قالت سمر بإستنكار وقد شعر أن الأمر يسري بطريقة غريب:

_ هنتجوز فين؟

:ليك عندي في شقة في بيت أهليقال ماجد بمنتهي العفوية

إنتفضت ورجعت للخلف بسرعة وكأنها لسعتها عقربةفهتفت بحدةوحنق غير مقصودة :

_ ده اللي هو نفس البيت اللي فيه مراتك وجنب بيت حاتم وامه لا مستحيل ،انا مش قدهم احنا نتجوز في شقه بعيد عنهم أفضل

قال ماجد بحدة ناهيا هذا الجدال : لا طبعا ده بيتي وشقايا وورث ابويا اللي طلعت بيه من الدنيا مش ممكن هسيبه لهم في الاخر علي الجاهز

قالت بترقب وحذر:بس انا خايفه من رد مراتك خصوصا انها بتكرهني وخربت عليا فمبالك بقا لو عرفت اني حامل منك

امسك ماجد يديها مطئن اياها:

_ متخفيش يا حبيبتي، انتِ هيكون لكِ شقه مستقله بعيد عنها وبعدين طول ما انا جنبك محدش يقدر يأذيكي بكلمه انا مش زي الهفأ طليقك

صمتت سمر تفكر ما يقوله ..ماذا تريد اكثر من ذلك

فقال ماجد مشجعا إياه: قولتِيه!!؟

قالت سمر ببعض التردد والقلق يعصف بها :

_خلاص موافقة

****

في شقة سمر

_لا طبعا اتجوزيه وحط صابعك في عين التخين مش هي اللي خربت عليكِ ، ناخد جزءها بقا

كانت هذه العباره التي انطلقت من فم حسناء

فقالت سمر بتردد قلق :

_بس انا خايفه منهم جامد ، خاصة من الحربايةإخت طليقي

قالت حسناء بتبرم ووقاحة :

لا متخفيش منها كل واحد عايز يتعامل زي ما تربي

همست سمر بأستنكار :

_يعني إيه ؟

قالت بحسم وصرامة :

يعني لازم تتعملي بالمثل عشان متتكليش منهم

ردت سمر بحسرة وخيبة أمل:

_طب إزاي ، كنت عرفت أتعامل معهم قبل كده

قالت حسناء بخبث

لا ، قبل كده سكة و دلوقت سكة تانيه خالص

قطبت سمر جيبنها قائلة بدهشة :

مش فاهمه ، ايه الفرق

ابتسمت حسنا بتملق ثم قالت بخبث :

هقولك

****

في منزل ماجد ...

بعد أن تم مراسم الزواج الذي كان حفل هادئ وبسيط قال ماجد بفرحة حقيقة :

_نورتي بيتك يا عروسة

تصنعت سمر الخجل وقالت ببسمة ساحرة :

_ ده نورك يا ماجد

شعرت أبتسام بالنار تندلع في أحشائها عندما وجدت ماجد زوجها يحمل حقيبة والذراع الاخر يحاوط سمر فقالت بجنون صادم :

بيت مين ، والعقربه دي بتعمل إيه هنا؟ وعروسة مين ؟؟

قال ماجد ببساطة دون ان يترك سمر المبتسه بشامته :

_مراتي ،وهتكون ضرتك الجديدة

وضعت ابتسام يديه علي صدرها بصدمة ثم صاحت صارخة :

_يالهوووووي انت عملتهاواتجوزت عليا يا راجل ، ويوم ما تختار تكوني أرض البور ، فضلات أخويا اللي مقدرش يعيش معاها

عبس ماجد وجهه ثم قال بحنق وصوت حازم :

_اخرسي يا ابتسام ، انا مش هسمحلك تقولي كلمه بعد كده علي مراتي ، انت فاهمه

_لا مش فاهمه وقولي العقربه دي هتعملي إيه

ثم قامت بالإشتباك مع سحر لتجذبها من حجابها فقام ماجدبفك الحجاب بقوة بعنف ثم دفعها بقوة لتسقط إلي الخلف صارخا بغضب :

_ إياكِ تعمليها تاني سمر مراتي وام أبني اللي في الطرق ده واقع كل ما تتقبليه ، هتكون حياتك افضل

قالت ابتسام بذهل وحنون :

_وكمان حامل ، انت متجوزها أمته

قال ماجد بصرامه :

حاجه متخصكيش اهتمي باللي في بطنك وخلاص

ثم ابتسم الي سمر قائلا بنعومة :

_تعالي افرجك علي شقتك

قالت سحر ببراءة وابتسامة جميلة :

_يلا بينا يا حبيبي

قالت ابتسام بصوت حانق حاقد وعيناه تصدر شرارت غاضب :

_ وكمان حبيبي ، طب ايه رأيك أني هسبلك البيت واروح عند أمي لحد ما تطلق الحيه خاطفة الرجاله

تجاوزها ماجد مشيرا بذراعه بأهمال متجاهلا دون ان يستدير

الفصل الثانـي

حكاية بسنت

بعد ايام قليلا.

دلفت بسنت داخل شقتها وأغلقت الباب خلفها مستنده إليه بإرهاق واضح علي معالم وجهها الباهت، واتجهت الي الرواق نحو غرفتها ،لكنها وجدت سيدة وقوره في العقد السادس من عمرها ترتدي ملابس كلاسيكية راقية ويبدوا أنها ودوده للغاية فالقت التحيةوهي تنظر الي والدتها بنوع من الإندهاشفهي لأول مرة تلتقي بهذه السيدة وليست من احدي الجيران الذين يقطنون في البناية المجاورة ودائما يجلسون من والدتها دخلت غرفتها وانتظرت عدة دقائق حتي اتت والدتها وهي تشعر أنها ستطير من قمة السعادة والسرور المرتسم علي ملامح وجهها المجعدة بعض الشئ فقالت بسنت بإستنكار :

_ خير يا ماما فيه ايه ، ومين الست دي؟!

قالت عفاف بفرحة عارمة:

_ البشري يابسنت ، انت بنت حلال اوي وربنا هيعوض عليكِ.!

لم تفهم بسنت ما تتفوة به والدتها فقالت بحيرة محاولة ما ترمي إليه والدتها :

_ انا مش فاهمه حاجه؟

إمسكت عفاف بيد ابنتها وكأنها ستخبرها سرا خطير قائلة :

_عريس يا بسبوسه واللي هنا دي كانت امه، جايه تكلمني عليكِ ثم احتتنضها بقوة وكأنها أن تراها مره ثانية من هول المشاعر التي كانت تنتظرها منذ زمن كأي ام تريد أن تفرح بأولادها

شعرت بسنت ببعض الأمل والحماس وأنها سوف تتخلص من لقب العنوسة التي أطلقه بعض من الناس في مجتمعنا الذي ينظر إلى الفتاة الذي يتأخر زوجها قليلا بأن القطار قد فاتها وبعض الأمثلة الاخري الذي لا يسلم بعض الفتيات منها فقالت غير مصدقة من وقع المفأجاة الغير متوقعه أبدا:

_بجد يا ماما

قالت عفاف بحب:

_ ايوة يا حبيبتي وجاي بكره هو وامه وأخته عشان يشوفكِ..عايزِاكِ بقا تحضري نفسك من دلوقت ماسكات والحاجات اللي العرايس بتعملها عشان تبقي اشيك

ثم إحتضانها بقوة وهي من داخلها تشعر بأنها قبضت على نجمة من السماء فاخيرا هذا المنزل سيتواجد الفرح بداخلها من جديد

في اليوم التالي جهزت بسنت ذاتها كأي عروس وجائت السيدة التي التقت بها أمس معها شاب في الثلاثين من عمره يمتلك الموصفات الشاب المثالي مظهره ، وسامته ،والأناقة التي يتميز بها ولباقته في أسلوب الحوار، واخذ الأصغر منها والتي كانت ترتدي فستان راقي بعض الشئ، كانت جلسه لطيفة بعض الشئ وبالطبع ولم تخلوا من التهنئة والمباركات والتحدث عن الأوضاع الاجتماعية وجهاز العرائس ثم بعد وقت سمحوا لكل من بسنت والشاب عماد بالجلوس معا في غرفه منفصلة عنهم حتي يستطيعا التحدث معا في الأمور التي من خلالها سيقوما ببناء حياتهما الخاصة عليها، تحدث عن نفسه بأنه يعمل مهندس كهرباء في أحد دول الخليج وانه يسافر بإستمرار وأتفاقا سويا بأنه سوف ياخذه معه فور انتهاء عقد القران ، شعرت بسنت بالراحة وان هذا الشاب الذي ستكمل حياتها معه، بعد اتمام حفل الخطوبة وحضر الجميع من الأقارب والجيران تم تحديد موعد عقد القران والذي سوفيتم بعد عدة أشهر بداية من يوم الخطوبة واخيرا حان وقت التخلص من حياة العزوبية وبعض الألقاب المزعجة التي كانت تسمعها بأستمرار لتبدأ بسنت حياه جديد ، والدخول في عالم الكبار.....

وفي أحدي الإيام ، كانت بسنت تعد نفسها للخروج مع خطيبها عماد ووالدته للتنزه وشراء بعض الأجهزة الخاصة بعش الزوجيه، دخلوا عدة محلات مختلفة وفي إثناء اليوم كانوا ينتقون بعض الأجهزة ولكن حدث تعارض في الرأي بين عماد وأمه مما جعل يزفر بضيق ثم استدار ليقاطعها صارخا بقوة:

_ انا مش قولتلك متتكلميش كتير تاني، انتِ مش بتسمعِ الكلام ليه؟

تراجعت بسنت خطوه للوراء تنظر إليهما بصدمة وقد فغرت شفتيها المرتجفتين قليلا كيف له أن يتحدث مع والدته بهذا الشكل الهمجي الوقح المثير للغضب والإشمئزاز هي والدته ليست كأي أحد ليتحدث معه هكذا تسرب إليها إحساس الخوف وعدم الاطمئنان من هذا الهمجي الغير متزن كما تريكما ان رد فعل والدته سلبي للغاية فقط تراضيه قائلة:

_ حاضر

وهي تطلع حولها بقلق وتوتر لتري هل أحد في هذا المكان يستمتع بهذه الفضيحة المعتادة كلما خرجا حتي انه لم يراعي في الأمر أن هناك ضيفه جديده حلت علي حياتهيجب أن يحسن من حالة لو كان بهذا سوء

وعندما وصلت بسنت الي بيتها قالت عفاف بلهفة ممزوجه بالفضول :

_ مالك يا حبيبتي، كانت حلوه الخروجه..!؟

وضعت بسنت حقيبتها الي الفراش ثم ارتمت نحو الإريكة بإرهاق وقالت بلهجة فاترة: اها، حلوه يا ماما

وضعت عفاف يديها في جانبها قائلة بإستنكار :

_ ومالك بتقوليها من غير نفس كده ليه

_قالت بسنت بالامبالاة وبرود باهت :

_عادي

قالت عفاف بشك :

_فيه حاجه حصلت ؟

قالت بسنت بعد تردد:

- ماما انتِ مش بتقولي ان الناس دول غنيه ماديا، وجاهز يعني لسه مش بيكون نفسه

قالت عفاف بحيرة وشك :

_ ايوة يابنتي ..!!

قالت بسنت بتفكر وكأنها تحل لغز ما:

_احنا طول اليوم بره ليه مش عازمنا علي حاجه ناكلها او نشربها بالإضافة انه اتنرفز علي مامته اكتر من مره وطريقة معاملة ليها مش لطيفه خالص

قالت عفاف مبررة :

_جايز مكنش خد باله، وبعدين طريقة مع مامته دي حاجه متخصناش

قالت بسنت بإختناق :

_مش عارفه يا ماما بس حاسه اني مش مرتاحه وعايزه

ثم صممت عدة لحظات خوفا مما ستتفوه به ورد فعل والدتها

قالت عفاف بترقب وحذر :

_ وحاسه أنك عايزه إيه
تابعت بسنتبإرتباك:

_ اني عايزه افركش..!!

لم تستطيع عفاف كتملسانها عن التحدث فانفجرت فيه قائلة بحدة وعنف:

_ تفركيش ايه يا روح امكواحنا كنا نطولولا انت بيجي لك فرصه كل يوم زي دي عشان نفرح بالسهوله دي

ثم امسكت ذراعيها قائلة بحنق وصرامة :

_اسمعي يابت، اول مره اسمعك بتقولِ حاجه زي دي الناس تقول ايه علينا، هتشمتي اللي يسوي واللي مايسواش
ابعدت بسنت ذراعيها عن قبضتها والدتها الحادة هاتفقبعصبية:

_ يعني انا انت كل اللي همك كلام الناس
_ امال يهمني كلام مين يا حلتها
كادت بسنت أن تتفوه بشئ ما ولكن قاطعها صوت رنين الجرس، ألقت عفاف نظرة ساخطة نحو بسنت ثم تركتها لتفتح الباب، فوجدت صديقتهاالتي تدعي أم ياسمين فقالت بإستفهام:

_ مالك ياختي قلبه وشك كده ليه .؟
قالت عفاف بقنوط :
_تعالي يا أم ياسمين البنت مغلباني ياختي قال إيهعايزه تسيب خطيبها
فالت ام ياسمين بخضة:

_ تسيب خطيبها القمر ده وهي هتلاقي زيه فين تانيلا كل الا كده انتِ تنديها بقا
قالت عفاف بصوت مرتفع :

_بت يابسرنت كلمي خالتك يابت
اتجهت بسنت نحو غرفة المعيشة مرحبا بهذه الضيفة السمجة بعض الشئ علي قلبها فهي تلقبها داخلها " طنط حشرية " لتدخلها في تفاصيل حياتهما بشكل مستفز للغاية جلست فوق الأريكة المجاورة لتسمتع الي هذه السيدة فقالت بهدوء :

_عايزه تسيب رزقك يابت، هو انت كنت تطوليه؟

رمقتها بسنت بنظره حاده رغما عنها، فاعدلت من كلمها قائلة بتفهم وبطء :

_ انا اقصد ياينتي انتِ كبرتِ في السن وقطر الجواز قرب يفوتك، والفرص دي مش بتتعوض كل يوم ولا انت عجبك قعدتك جنب أمك ومعايرة اللي يسوي واللي

مايسواش فيكٍ واللي في سنك معاها عيلين وتلاته
صمتت بسنت تتنفس بسرعة وعنف لا تدري ماذا تتحدث أمام هذه المرأه جريئة الأسلوب وقحة في انتقاء الفاظها جارحة المشاعر ولكن رغما ذلك فحديثها منطقي بعض الشئ ،

إستجابت لهما بسنت في الأخير بعد إلحاح دام لفترة الخطوبة، فهناك مثل يقول " الزن علي الودان آمر من السحر "
تمت مراسم الزواج كالمعتاد.

ولكن ماذا حدث بعدها تتحدث بسنت بلسانها قائلة بحزن عميق:

_منذ أول يوم زواج يتعامل معي بإستهانة وغرور وكأني من أحد عبيده ولست زوجته ،بعد الزواج بثلاثة اشهر طلبت منه أن أسافر إلي الخليج كما اتفقنا قبل ذلك، ولكنة ابأ بشدة معللا غلاء الأسعار مرتفعه وهو يريد توفير مصاريف المعيشه التي تجعلنا نعيش في رفاهية ومستوي راقي، وعندما أريد منه مصاريف لأساسيات المنزل او مصاريف خاص بي كان يرفض بعصبية معلقا بانها أشياء تافهه لا يريدها رغم احتياجي لها، من اول يوم سفر له طلب مني الذهاب عند والدتي بحجة إلا أكون وحيده في البنايٍ التي كنا نقطنبها.....!!!
بعد عدة شهور كنت علي وشك الاقتراب من الولاده، عندما كنت اتحدث معه بشغف وتشوق علي الحياة الجديدة التي سوف تنير حياتنا وتكمل فرحتنا وتقوي الوصال بينا أجد منه رد فعل باهت بارد يجعلني أراجع نفس كثير هل اخطأت في الحديث او يمكن أن يٍتواجد قصور في شئ ما، لماذا دائما يتحدث معي وكأنه لا يطاق التحدث معي رغما انه لم يكن علي هذا الحال اثناء فترة التعارف ما قبل عقد القران ، لم يوافق علي إرسال مال لمصاريف ابنة الصغيرة مبررا ان امي تقوم معي بالواجب، حاولت التحدث مع والدتة اكثر من مره علي هذه التصرفات لكن رد فعلها كان سلبي للغايٍ وبالطبع متحيز نحوه ابنها الوحيد، نهاية هذا الأمر طلبت منه أن ينزل إلينا ليري ابنته ونتحدث في هذا الموضوع شديد التعقيد ولكنه كان يأبي كالعادة ، تصرفاتة تشعرني بالجنون وعدم الإتزان فعندما فكرت قليلا في زواجنا وجدت انه

لم ينفذ لي رغبه او طلب رغما كان بساطة الآن قد بلغ السيل الزبد ركضت نحو الهاتف والدموع تنساب علي وجنتي بغزراة وقهر، تحدث معه بالحسن في البداية ربما يلين ولكنه كالعادة ردود مقتضبة باردة مميتة تلونها نبرة من الأستهانة الإستفزاز وكأني بفرض ذاتي عليه وكم هو بارع في أشعاري بذلك ، لم اشعر بنفسي سوي وانا اصرخ كأسد جريح مستغيث وصوتا نوعا من الرجاء والخوف والكبرياء :

_ انا مقصرتش من اول يوم جوزنا وكل مره تجي فرصة تحسسني ان اخر أولوياتك ان مكنتش مهمشة أساسا ، احنا مكملناش سنه وحالنا كده، امال بقت حياتنا نعيش ازاي؟ ؟

رد عماد بكل برود واذدراء :

_عايزه إيه من الآخر؟
اخذت نفسا عميق ثم هتفت في تردد وألم وإلا كنت سوف اختنق بكل هذه الكلمات :

_ لو حياتنا هتفضل على الوضع ده ننفصل بهدوء ، لأن تعبت نفسيا من الحياه متجوزه وكأني مش متجوزه
رد عليه بهسيس مخيف بعد وقت طويل محرق لأعصابها :

_ براحتكورقتك هتوصلك في أقرب وقت
شعرت بصدمة وبرود وكأنه كان ينتظر هذه الجملة منذ فتره طويلة ، وكأن أمرها هم ثقيل بغيض علي قلبه وتخلص منه أخيرا

كانت بسنت لا تصدق ما يحدث ، تتحدث بدون صوت وكأنها تهمس بكلمة ، لا وكأنها لا تصدق هذا الإنسان التي تتحدث معه حاليا كمنبع للشر والقسوة
لاحظت النبرة العدائية الذي يتفوهه بهاهل كل ما في الحياة خطأ ام أنا فقط الذي لا اتلقى الا بالأشخاص السيئة، يبدوا إني عندما سئمت الوحده كنت مخطئة فماذا فعلت انا عندما اختلطت بالعالم الآخر خسرت نفسي وكرامتي خسرت أول رجل

احتل عالمي الطفولي وعندما ظننت أن الحياة بدأت ترتيض أمل وتضخ لي السعادة الذي كنت أتمناه حتي في غمضة عين ذهبت وهباءا ، لا اعترض على ما قدره الله لي حاشر لله ولكن اقسم برب السماء انني لم يعد ليا شئ تبرر بيه لنفسي ان الفترة التي تمر بها حتما ستنتهي حتى أصبر لا استطيع الصمود كثير وكأن الشبح الذي يراودني في كل يوم اقسم علي نفسه ان لا يتركني مدى الحياةحتما قد يدمر حياتي وقد فعل وبجدارة ماذا يريد مني هذا الشبح الذي يحتل تفكري خيالي حتي أحلامي التي باتت كوابيس وليست أحلامي ورديةٍ كالذي يحلامها ما في عمري الآن ، تسقط في بحر الماضي الأليم الذي يريق ذهنك رغما عنك..احساس الضعف اللعين الذي ينتابك كلما حاول الحنين ان يتمكن منك

اااااه زفرات هم لا تتوقف يوم ، حتي لو تفرفت في عالم بأكمله لن تنتهي بعدنعلم الذي فيه الا

بالقسوه انا لا يكون هناك راحة

لماذا....!؟!؟!

أذا تحدثت عن الحب من وجهة نظري كاشاب مر بالعديد من التجارب العاطفية، اشفق علي ذاك الساذج الذي يترك فتاة تحبة لمجرد عدة خلافات سيدرك انه مع الوقت لا تذكر . مقارنة بالاذي النفسي الذي سيحدث له فيما بعد ،غبي من يظن أنه سيجد ذاك الحب مره اخري مبررا بحجج فارغه، مثل "ان هناك الكثير من الفتيات واستطيع ان أجد فتاه مثلها بل أفضل منها" ، لن يحصد من هذه الفكره سوي وجع القلب، شرخا سرطانيا مشوها ومؤذي بدرجه عنيفه ،تسطيع الفتاه تتأقلم وتتعايش مع رجلا اخر لمجرد انه أفضل من السابق بل وتقوم بنسيانه وكأنه لم يكن ، لكن نحن كرجال لا نستطيع التعايش مع هذا الأمر ،فقط نتظاهر بالنسيان والتعايش لان مصطلح الرجولة تفرض علينا بعض القيود بأن المشاعر ضعف ، والبكاء ليس للرجال أبدا علي الإطلاق ،ولكن داخلنا فالأمر محال..كيف يمكن نسيان فتاه لم نشعر بالسعادة والأرتياح النفسي الا بجانبها ، بالنسبة لي كنت أظن ان هذه المشاعر

ستظل متجمدة للنهاية ،كنت مخدر عندما ظننت أنة لن تكون سوي لأحد غيري ، لم افق من هذا الوهم الا عندما تلقيت الصدمه التي اشعرتني كم انا ساذج مغفل ، أشعر بحرقة لو كان نصل خنجر بارد غرس في القلب

لم أكن اشعر بهذا الألم عندما رأيتها مع رجلا اخر ، ذاك السرطان الذي اخترق جسدي لينتهكه خليه خليه أرحم واهون عندي بكثير من فقدانها فألم الاشتياق اسوء مما كنت أظن . يقال أن أصعب الفقدان، فقدان الذاتانا حقا فقدت نفسي في اليوم الذي قررت الأبتعاد عنهافقدت ذاتي للأبد عندما علمت أنها أصبحت ملكا لرجلا آخر واذا كان لا يوجد تشابه بين جنس آدم ، ولكن في هذه المسأله انا لا اتحدث عن نفسي فقط انا أتحدث عن كثير من جنس آدم اذا لم يكونوا جميعا اكثر الرجال يندمونولكن بعد فوات الأوان

أحقا مازالت نجمتكِ مضية رغم الظلام

تمت بحمدلله